

سلسلة دبلوماسية مكافحة الأوبئة

إعادة صياغة الدبلوماسية في خضم فترات الغموض

أغسطس 2020

الإغلاق التام، مما أوقف تماماً كافة أشكال الاجتماعات المباشرة وجهاً لوجه. وتقيدت حركتي وانحصرت في مقر إقامة سفير الدولة في برلين، وتأجل اجتماعي مع الرئيس الألماني لمدة أكثر من ثلاثة أشهر.

بتعبير آخر كنت في وضع غير مستقر؛ فقد تم "تعييني" سفيراً لدى ألمانيا ولم يتم "اعتمادي" بعد. وكان معنى ذلك أنني لم أستطع أن أرتب مباشرة اجتماعات وأجري اتصالات مع الوزراء وغيرهم من المسؤولين رفيعي المستوى، وذلك هو خطأ أسوأ وضع قد يواجهه الدبلوماسي في حياته المهنية؛ لأنه يعني أنه موجود وغير موجود في آن واحد! وضع يثير الكثير من الارتباك والاضطراب. وإذا أضفت إلى ذلك الإغلاق، يتوفر لدى المرء كل مقومات التراخي والكسل.

ثم أدركت أنني أحد الدبلوماسيين وأن الدبلوماسيين لا يقبلون بـ "لا" كرد؛ الدبلوماسيون يبحثون دوماً عن سبل لإنجاز العمل، مهما كانت الظروف.

في بقية المقال، أسرد الدروس المستفادة من الحياة في ظل القيود التي فرضها فيروس الكورونا.

1. مهارات القيادة والتضامن

عندما تكون أحد دبلوماسيي دولة الإمارات فإن ذلك له مزايا. فبمجرد فرض الإغلاق في أوروبا، سارعت وزارة الخارجية والتعاون الدولي إلى العمل، وتلقينا اتصالات من وزارة الخارجية بعثت الطمأنينة في صدورنا للاستفسار عن أحوالنا.

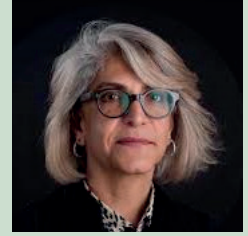
وكانت قمة التكريم بالطبع هي مكالمة من سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان، وزير الخارجية والتعاون الدولي، والذي نشكر له كرمه ولطفه بأن سأل كل منا على حدة عن صحته وعن أسرته في الوطن. تجسيد رائع للدبلوماسية!

وشعرنا أيضاً بالسعادة عندما أجرينا مكالمة بالفيديو مع صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة ورئيس الوزراء وحاكم دبي. وقد شدد سموه على أهمية معرفة أماكن وجود كافة مواطني الدولة في دول الاستقبال التي نعمل فيها، ومساعدتهم على العودة إلى الوطن.

وكانت هذه الاتصالات بمثابة دفعة إيجابية رفعت من روحنا المعنوية وأعادتنا إلى الطريق السليم. كانت الرسالة واضحة: نحن جميعاً في هذا الوضع معاً.

سعادة حفصة عبدالله العلماء

سفير دولة
الإمارات العربية المتحدة
لدى جمهورية ألمانيا الاتحادية



في هذه النسخة من التأملات الدبلوماسية التي تصدرها أكاديمية الإمارات الدبلوماسية، تستعرض سعادة السفيرة حفصة العلماء التحديات التي واجهتها في الاضطلاع بمهام منصبها الجديد في برلين إبان وباء الكوفيد-19. وتشدد على أن تلك الفترة، بالرغم من التعقيدات التي اقترنت بها - أتاحت الفرصة لإبراز مهارات القيادة والتضامن وإقامة العلاقات والتجديد.

لقد كان ذلك في أوائل 2020 عندما تم تكليفي بمهام منصبتي الجديد وكل أوراقي جاهزة مع جواز سفر دبلوماسي جديد استعداداً للوجهة الجديدة وهي: جمهورية ألمانيا الاتحادية. كنت متحمسة للغاية وأعدّ الأيام أنتظارا للانطلاق إلى برلين.

وفي هذه الأثناء كانت محطة الأخبار المفضلة لدي - BBC - تبث أنباءً متكررةً عن تفشي فيروس جديد في الصين وبدء إغلاق وعزل مدينة ووهان. وللأسف فإني لم أخذ تلك الأنباء على محمل الجد وأعتقدت أنها "إلى حد بعيد" ستتلاشى بمرور الوقت. لقد مررنا بفيروس سي السارس والمارس من قبل دون أن يحدث اضطراب كبير في حياتنا.

نحن نعرف الآن أن الوضع لم يكن كذلك.

فقد وصلت إلى برلين وعقدت أول اجتماع لي مع رئيس إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية الألمانية تمهيداً لتقديم أوراق اعتمادي إلى الرئيس فرانك-فالتر شتاينماير. وأذكر أنني ناقشت تفاصيل الاحتفال وعدد الدبلوماسيين الذين سيرافقوني؛ فقد كنت أتطلع إلى تلك اللحظة.

في اللغة العربية، هناك قول مأثور نصه: "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن." وهذا ما حدث بالضبط. ففي ذلك الوقت أعلنت ألمانيا، مثلما هو الحال في باقي دول العالم، فرض

«الدبلوماسيون يبحثون دوماً عن سبل لإنجاز العمل، مهما كانت الظروف.»

2. إقامة العلاقات وتوسيع دائرة المعارف

لقد فتح الوباء عيوننا على قنوات جديدة في التواصل وإنجاز مهامنا.

فقد بدأنا استخدام الإنترنت فيما يفيدنا واكتشفنا الإمكانيات التي يتيحها في إقامة العلاقات والتواصل. فمن أجواء الراحة في غرفة معيشتي، بدأت إجراء اجتماعات "زووم" مع ممثلي التجمعات الرئيسية في ألمانيا؛ لأنقل لهم صورة عن دولة الإمارات وأبحث معهم فرص التعاون. وفي الكثير من الأحيان، كان هناك اتصال مشترك بين برلين، وميونخ، وأبوظبي، ودبي، ودرسدن. وشارك في بعض حلقات النقاش أكثر من 60 شخصاً من المستمعين.

بطريقة ما، أشعر أنني خرجت من فترة الإغلاق أقوى مما كنت عليه وبشبكة أوسع من العلاقات وقوائم أطول من عناوين البريد الإلكتروني.

3. حان وقت التجديد وإعادة الابتكار

أتاحت فترة الإغلاق المجال للتأمل وتحسين الذات. فبجانب المهام الروتينية في المنزل ومنها غسل الأطباق والملابس - حيث لم تستطع مساعدتي المنزلية القدوم إلى برلين بسبب القيود المفروضة على التنقل - أستطعت أن أعيد قراءة بعض كتيبي القديمة وقراءة كتب جديدة. وكان لدي أيضاً وقت كثير للتواصل مع الدبلوماسيين في السفارة ومناقشة خطة العمل المستقبلية في ألمانيا. وأحد العناصر التي كانت تحتل مكاناً بارزاً في خططنا هي سيناريوهات "ماذا لو".

برغم الإغلاق، شعرت أننا لا بد أن نتواصل بطريقة ما مع المجتمع في ألمانيا. ولذلك تواصلنا مع بعض منظمات الإغاثة الإنسانية وعرضنا عليهم المساعدة وتضامنا معهم. وكانت محصلة هذه الجهود تقديم أكثر من 8,000 كماسة للأطفال المحتاجين في تلك الأوقات الصعبة، وقدمنا أيضاً وجبات الغذاء لأكثر من مئتي طفل وعائلاتهم في المناطق المخصصة للمهاجرين في برلين. والتبرع الآخر كان توفير الدعم لشركة ناشئة تتولى تقديم معلومات الطوارئ بلغات عديدة، ومنها اللغة العربية، إلى المهاجرين الذين يحتاجون إلى المساعدة الطيبة.

«أشعر أنني خرجت من فترة الإغلاق أقوى مما كنت عليه وبشبكة أوسع من العلاقات وقوائم أطول من عناوين البريد الإلكتروني.»

عند الحديث على المستوى الشخصي، فإنني كنت أنظر إلى العديد من وسائل الراحة في حياتنا المعاصرة قبل الإغلاق وتفشي فيروس كورونا بأنها من البديهيات. غير أنني أصبحت الآن أكثر معرفة بأن مهمة الدبلوماسي هي الاستعداد دائماً لفترات الغموض والاضطراب في كافة الأوقات. وينبغي أن تتضمن خطط عملنا دائماً مختلف أنواع الظروف.

وأخيراً، عقدت الاجتماع المباشر وجهاً لوجه مع الرئيس الألماني، ولكن الاحتفال كان خافتاً ولم يرافقني، لسوء الحظ، أي دبلوماسي من السفارة، وكان عليّ الحفاظ على مسافة التباعد الاجتماعي، وبالطبع بدون مصافحة. أهلاً بالوضع العادي الجديد!

«مهمة الدبلوماسي هي الاستعداد دائماً لفترات الغموض والاضطراب في كافة الأوقات.»